لمحاضرة الثانية:الأسلوب الخبري وأضربُه

عناصر الموضوع:

أ . قسما الكلام

ب. الخبر وغرضاه الأصليان

ج.أضربّه وأغراضه المجازيّة

أ. قسما الكلام :

إنه بالنظر إلى وظيفة اللغة التواصليّة وبناءً على الغرض من معاني مجموع الاستعمالات الكلاميّة للتراكيب قسّم علماء المعاني الكلام بين، خبرٌ وإنشاء. فالخبر هو ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب فإن كان الكلام مُطابقا للواقع كان قائله صادقا وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا واستثنيت من الثاني الأخبار المقطوع بصحتها ومنها أخبار الله تعالى وأخبار رسله والبديهيّات المألوفة [1] لأنّ الإسناد في هذا القسم خبريّ بالنظر إلى طبيعة الكلام ونزاهة قائله أمّا الإنشاء فهو ما لا يصح أن يُقال لقائله إنه صادقٌ فيه أو كاذب ولكلّ جملة من جمل الخبر والإنشاء ركنان ؛ محكوم عليه ومحكوم به و يُسمّى الأول مُسنَدا إليه والثاني مُسنَدا.

ب. الخبر وغرضاه الأصليان :

نَظر البلاغيُون إلى أغراض الخبر باعتبار المتكلم ووفقاً لمقتضى الظاهر فوجدوا أنّ له غرضين أصليَيْن فهناك جملة يُلقيها المتكلم بغرض إفادة المخاطَب بما يجهله ؛أطلق عليها (فائدة الخبر) وهناك جملة أخرى تلقى بغرض إفادة المخاطَب بأن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية ،ولا بد أن يكون المخاطَبُ عالما به،وذلك لملمح ما ؛أطلِق عليه (لازم الفائدة) .

ج.ضربْ الخبر وأغراضه المجازيّة :

-أضربُ الخبر

إنّ من مراعاة مقتضيات الأحوال في بلاغة الكلام مراعاة حال المخاطب ودرجة تقبّله لمضمون الخبر وشحنته الإعلاميّة، لذلك فإن المُخاطب المُستهدف بالخبر هو مَن يُملي على المتكلم شكل أسلوبه وبنيتَه اللغويّة.

فإذا كان المُخاطب خالي الذهن من الحكم الذي يحمله الخبر فلا حاجة بالمتكلّم في تأكيد كلامه الخبر ويُسمّى ضرب الخبر ابتدائيّ " نحو أخوك قائم فإن كان المخاطب مُترددا الحكم طالبا لمعرفته كان من اللائق تقوية الحكم بمؤكّد كي يتمكّن من نفسه وتطرح الشكوك والظنون دونه ويُسمَّى ضربْ الخبر "طلبي" نحو إنّ الأمير منتصر.

فإنْ كان المُخاطَب مُنكرا للحكم مُعتقدا خلافه ؛لزم المتكلم تأكيدُ كلامه بأكثر من مؤكّد تبعا لدرجة

---

(1) ينظر : عبد العزيز عتيق ،في البلاغة العربية ،علم المعاني ،البيان ،البديع ،ص 44

الإنكار من مخاطب إلى آخر ويسمّى ضرب الخبر إلى المنكِر " نحو الأمّير لَمَنتصرٌ . وإنّ ما يكون في الإثبات من توكيد يكون مثله أيضا في النفي [2]

2 ـ أغراض الخبر المجازيّة :

إذا كان للخبر باعتبار المتكلم ووفقاً لمقتضى الظاهر غرضان أصليّان هما فائدة الخبر ولازم الفائدة» فإنْ هناك مقامات ثانية»كان البلاغيّون قد « نظروا إليها باعتبارالمتكلم والمخاطَب فرأوا أنّ هناك أغراضا خرجت عن ذلك كلّه. فأطلقوا عليها الأغراض المجازيّة [3]

إنّ الخبر قد يُلقى على خلاف الأصل لأغراض أخرى تُستفاد من سياق الكلام وقد وصفها البلاغيّون [4] في أغراض عامة منها الاسترحام والاستعطاف وتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله. و إظهار الضعف والخشوع وإظهار الحزن والتحسّروإظهار الفرح بما قُبل والشماتة بما دُبر والتوبيخ والتذكير بما بين المراتب من تفاوت ولا يخلو ّ ههنا من جماليّة إذ إن اختيار أسلوب الإخبار لغاية غير الإخبار يَمنح المتلقي تفاعلا وتأثراً لمضمون الكلاف فضلا عما يُصاحب تلك المقامات من معاني اللباقة والتأدب والعاطفة وقد حاول حسين جُمعة محاكاة هذه الجماليّة بقوله: «لعلّ جماليّة التساوق بالإغي ّ لأغراض الخبر المجازيّة ترتبط بالهدف الذي يرمي إليه المتكلم من وراء الجملة الخبريّة (...)»وعلى المتلقّي أن يستشف ذلك من السياق ويلمحه من قرائن الأحوال بما يمتلكه من ذوق فني ّ وبهذا تؤسَّس لعلاقة المتلقي بها في ضوء الارتباط النفسي ّ والفكري ّ في وقت واحد [5]فترتسم بهذه الأغراض الملامح الفنيّة للمعنى (مضمون) هذه الأغراض التي نذكر منها:

1 . الأمر: يرد من خلال العدول إلى المضارع بإلغاء الحدود الزمانيّة بجماليّة مُثيرة ،نحو قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة /233] فالسياق البلاغي ّ دفَعَ الفعل المضارع الذي يُفيد الزمن الحالي ّ إلى الزمن المطلق لكل امرأة ذات ولَد ،وإنه أمر لها بما ينبغي أن تفعله في كلّ زمان ومكان وفي هذا مَكْمن الجماليّة. «فهي الفطرة تعمل» وهي الأسرة تُلبِّي هذه الفطرة في أصل الكون وفي بنية الإنسان. ومن ثم كان نظام الأسرة في الإسلام هو النظام الطبيعي ّ الفطري ّ المنبثق من أصل التكوين الإنساني. بل من أصل تكوين الأشياء كلها في الكون (..) والأسرة هي الحضن الطبيعي ّ الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها(..وكانت الأسرة المُستقرّ الهادئة ألزمَ للنظام الإنساني. كل هذا في دلالة المضارع المجازيّة.

2 . النهي: تنبثق الدلالة من زاوية الرؤية البعيدة مقترنة بالسياق» نحو قوله تعالى:﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة /79] إنّ امتناع مس ّ القرآن الكريم على غير المتطهّرين كان بأسلوب مثير

---

(2) ينظر :السيد الهاشمي ،جواهر البلاغة ،ط 1 ،مؤسسة العلمي للمطبوعات ،بيروت ،لبنان ،2008 ،ص 42

(3) حسن جمعة ،جمالية الخبر والإنشاء ،د/ط منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ،سوريا ،2005 ،ص 25

(4) جواهر البلاغة ،مرجع سابق ، 1 / 41

(5) حسين جمعة ،جمالية الخبر والإنشاء ،ص 46

للانفعال النفسي ّ من خلال قصر م ُلامسة المصحف على المتطهرين إخبارا.في بيان تلك الخصـ ّيصة يقول السيوطي ّ م ُعقبا على فحوى الدلالة في هذه الآية في فصل (في معاني الخبر): «إذا قلنا:إذ ّو َرد في الآدمي ّين- وهو الصحيح- إن معناه َيم َس ُه أحد ٌ منهم » بشرع فإن ْ وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع . وهذه الدقيقة هي التي فاتت العلماء» فقالوا: عن الخبر قد يكون بمعنى النهي وما وجد ذلك قط ولا يصح ٌ أن ْ ي ُوجد ؛فإنهما ي َختلفان حقيقة ويتضادان وصفا [6]

3 . التمني: وتفيده الجملة الخبرية في هذا المقام لأن ّ التمني قريب ٌ من الحدوث نحو قوله تعالى: ((ْ ي ُدخ ِلَن َا ر َب ُن َا م َع َ الْق َو ْ م الص ّالِح ِين َ))4 [المائدة /84]

4 . الدعاء: وهذا كثير ومنه :

قول يوسف عليه السلام لإخوته فيما حكى الله تعالى ت َث ْ ِيب علَيكُم ْ الْي َو ْ م ي َغفر الله لَكم وهو أَر ْ حم الراحِ مِين)

يغفر الله لكم : جملة خبرية أريد منها الدعاء لهم بأن يغفر الله لهم .

وت َرتسم ملامح ُ الجمال المثير بتراكيب م ُوجزة العبارة واسعة الدلالة الإيحائية على الر ّغم من تداولها اجتماعي ّا إلا أن عبارة مثل (حفظك الله) أو (شفاك الله) بالصيغة الإخباري ّة تموج بشحنة عاطفي ّة عالية» تقوم على الابتهال والاستعطاف.

5 . التوبيخ : كالمقالة التي توجه للذين يكنزون الذهب والفضة حين يعذبون ..(.. هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

6 . الوعظ : كما في قوله تعالى:(كل ّ نفس ٍ ذائقة ُ الموت ِ)

وقول أبي العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجِ د َة مفسدة للمرء أي مفسدة

(6) السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ،ص 304 . 305